

برقُ رعدِ النعمة الإلهية

"إشارة الصليب"

سمعنا في قراءات غروب الأمس، وفي تراتيل السحر اليوم، إشاراتٍ إلى حوادثٍ في العهد القديم مثلت رمزاً للصليب المقدس. أولها الكلام عن يونان النبي حين بسط يديه في جوف الحوت البحري بشكل صليب فرسم الآلام الخلاصية بوضوح، ولمّا خرج من جوفه في اليوم الثالث مثل القيامة بعد ثلاثة الأيام. كما أشارت التراتيل إلى موسى لمّا ضرب بالعصا مستوية ثمّ مخالفةً فرسم بها الصليب وشقّ البحر الأحمر وأجاز فيه إسرائيل ماشياً. وأيضاً إلى تلك العصا التي ضرب بها الماء المرّ في مارة فحوّله إلى ماءٍ عذبٍ للشعب العطشان.

لكن أوضح وأجمل صورة هي تلك، عندما رفع موسى الحية النحاسية في البرية ليشفي بها كلّ من ينظر إليها من لدغ الأفاعي آنذاك. وهذه الحية ترمز للمسيح المصلوب الذي حمل شكل بشرتنا لكنّه كان خالياً من الخطيئة كما الحية النحاسية التي كانت خالية من السمّ. وصار وهو إنسان علّة حياةٍ لكلّ وشفاءً لكلّ من يؤمن به. تتكرّر الصور والحوادث في العهد القديم التي تمثّل حدث الصليب. فيشوع بن نون حين طارد أعداءه رفع يديه إلى الربّ بشكل صليب ولم تغب الشمس حتّى قضى عليهم برمتهم. وهكذا يسوع حين بسط يديه على الصليب غابت الشمس لأنّها رأت أنّه قد قضى على شوكة الخطيئة وأنّ الجحيم قد سبي وكلّ شيء قد تمّ. هكذا إذن، رسم إشارة الصليب في العهد القديم كان يسبق حدثاً خلاصياً يتدخّل بعده الله بشكل جذريّ في حياة الناس. وخير دليل على ذلك ما تمّ بعد صلب المسيح.

بيدّ أنّه يرد إلى ذهننا، بعد أن رأينا نعمة حوادث رسم إشارة الصليب في العهد القديم ونعمة صليب يسوع، التساؤل التالي: متى نرسم إشارة الصليب ولماذا؟

نرسم إشارة الصليب عندما نشكر، على عبارة المجد للآب والابن والروح القدس. نرسم إشارة الصليب عندما نأكل وعندما نشبع، بعد الاستيقاظ وقبل النوم، عند الخروج من المنزل

وعند الدخول إليه. قبل الدرس وبعده... وقد تترافق إشارة الصليب في حياتنا اليومية مع أغلب التصرفات، والحركات، والكلمات، ولينها ترافقها كلها، فتباركها وتنقيها وتصفئها. ونرسم إشارة الصليب في الخدم الليتورجية، في الزواج، عند الإكليل، فنرسم بالأكاليل الصليب، وتُعطى البركة في كل خدمة بإشارة الصليب، فيبارك الماء وكل عنصر ليتورجي من نبيذ وخبز وغيره بإشارة الصليب... إشارة الصليب باختصار هي نداء لاستدرار النعمة الإلهية.

ما نستنتجه إذن، من كل الحوادث في العهد القديم التي رسمت بها إشارة الصليب، كما ورد سابقاً، ومن رسم إشارة الصليب في حياتنا اليومية وحياتنا الليتورجية المسيحية، هو أنّ إشارة الصليب هي أولاً برق يسبق رعد النعمة الإلهية وحضور قوتها. وثانياً أنّ رسم إشارة الصليب يتوسط واقعين: الأوّل هو الواقع القديم، والذي هو كما رأيناه في كل تلك الأمثلة، واقع خوفٍ أو حاجة، أو عطش، أو تعب، أو خطيئة أو إلخ... أي واقع الإنسان القديم. أمّا الواقع الثاني يأتي بعد رسم إشارة الصليب فهو واقع الإنسان الجديد المرتوي بدل العطشان، والقوي بدل الضعيف، إنّه واقع النعمة التي تكمل في ضعفنا.

إشارة الصليب حدث يستدر النعمة الإلهية نستخدمها لقلب واقع قديم إلى حدث جديد. إشارة الصليب طعنة موجهة إلى إنساننا القديم، ونفخة حياة لقيامه إنساننا الجديد بالمسيح. إشارة الصليب انقلاب تحقّقه النعمة الإلهية التي طلبناها حين نرسم إشارة الظفر هذه.

"فلصليكَ يا سيّدنا نسجد ولقيامتك المقدّسة نسبح ونمجّد".

أمين